رحيل ساحر الكلمات..

محمود عبد الوهاب...

الكتابة حتى الموت

علي حسين

مشوار طويل شقه الحكاء محمود عبد الوهاب بالإصرار والمثابرة والاهم بالمعرفة حتي حقق ما اعتقد أنها أحلامه وما تيقنا نحن محبيه انها احلام الكبار عبرقصص كتبت بحرارة الحس والقلب، من دون التفلسف الذي يفسد على القص حيويته، من دون النفخ الفارغ في جلد اللغة. هكذا كنت اشعر كل مرة وانا اقرأ احدى قصص محمود عبد الوهاب، قصص خطتها ريشة رسام لايغمض له جفن، فهو يقظ ابدا، يتسقط الكلمات بالعين فيوقد منها صورا تتناثر منها المعاني في كل صوب وتراها العين في نثارها وتجمعها في اضطراب كاضطراب الحلم، قصص تنتعش بروعة المستحيل، وهذا سر من اسرار العشق وهو عند محمود عبد الوهاب عشق دائم، ساخر من نفسه، لايبالغ ولايهول، اسير المفارقات المستمرة التي انتهت بموت حزين على سرير احد مستشفيات البصرة، هذا الموت الذي طالما تحاشى ان يكتب عنه لانه حسب قوله: "يبعث على الكآبة والمخاوف، والمفارقة المثيرة: إنك لو قلتَ لرجل في الخمسين من عمره: إنك لم تكن موجوداً قبل أكثر من خمسين عاماً، لن يمتعض منك ولكنك لو قلت له: إنك بعد خمسين عاماً لن تكون موجوداً، فسينتابه، في تلك اللحظة، القلق والاضطراب وكأنه يمسك بكلتا يديه الفارقَ بين العدم الذي لم يكن فيه موجوداً والخوف من زوال وجوده الذي افترضته أنت "

ظل الموت هاجس محمود عبد الوهاب يبحث عنه في الكتب والاساطير، شغلته المفردة فراح يسأل عن جذورها، عن هذا الغريب الذي يترصد الاحياء في كل لحظة مكشرا انيابه مثل ذئب قاس وشرس وظل يردد مع الجواهري

منْ منكمُ رغم الحياة وعبئها
لم يحتسبْ للموت ألفَ حساب
أنا أبغض الموتِ اللئيم وطيفهَ
بُغضي طيوفَ مُخاتلٍ نصّابِ
ذئبٌ ترصّدني وفوق نيوبهِ
دمُ إخوتي وأقاربي وصحابي

ولانه يحب الحياة فهو يسخر من الأموات في الحياة ويقول لبعض الذين اعتزلوا الحياة: لو وضعت شهادة وفاة بجوارهم سيصبحون أمواتا رسميا.. وعندما تسأله: لماذا تعيش معهم يقول: أنا المشترك وضعا والمختلف صقعا.

×××

يتصل تكوين محمود عبد الوهاب بقراءاته منذ صباه الباكر، التي مكنته من الاطلاع على كل ما هو جديد في عالم الأدب، تلك البيئة التي ميزته عن أقرانه من معاصريه الذين امتهنوا حرفة الأدب. فقد كان لها من الأثر في فكره ووجدانه ما لم يكن للآخرين من بيئاتهم التي ينتمون إليها: "قراءة عامة من دونما اختيار. كنت ابحث عن ذاتي خارجها، مثل طفل يكسر لعبته ويطيل التحديق إلى داخلها المحشو بالقطن والأسلاك، بحثا عشوائيا عن الصغير الرتيب، الذي يأتيه بلا انقطاع كلما ضغط على جسد لعبته بيديه.،، وكان كل ذلك حلما تعويضيا عن جدب الحياة. مباهج القراءة تجعل من القارئ شخصا مختلفا. فالقراءة عامل تغيير. والكتاب مثل النهر "لا ندخل فيه مرتين"، لكن تلك المباهج كالكهف المكتنز، لا يفتح بابه إلا بكلمة سر، وكلمة السر هنا، قدرة القارئ على التعلم، وإدراك ما يقرأ. بعد فقد بصره، كان بورخس يبكي وهو يصغي إلى ما تقرأ له أمه، كانت تسأله: لماذا تبكي، وكان بورخس يجيب: ابكي لأنني أفهم.

قصص محمود عبد الوهاب كتبت بلغة الحياة بلا تعال عليها، وبموسيقى أشبه بفوضى أصوات البشر. ولم يكن ذلك غريبا على رجل اخلص لادبه منذ ان كتب اول قصة (خاتم ذهب صغير) وهي القصة التي اعاد نشرها في مجموعته "رائحة الشتاء الصادرة عام ١٩٩٧ وهي مجموعتة الاولى والاخيرة . وقد كتب على غلافها الأخير: "بين (خاتم ذهب صغير) ـ أول قصة ظهرت لي في صحيفة بغدادية، و" طقس العاشق "آخر قصة كتبتها عام ١٩٩٧ ـ إرتحالات في رؤى سردية متحولة وجدت نفسي في نهايتها بعيداً عن الدهشة الأولى بأول حلم قصصي انبثقت منه الشخصية الأولى والمشهد الأول، وقريباً من استبصار مغاير ارتقت تقنيتي به إلى مرصدي الأخير بين قصص هذه المجموعة. أتذكر انني سودت مئات الصفحات في سنوات تلك الارتحالات حتى وجدت نسختي المنقاة هنا ".

لقد قوبلت هذه المجموعة بترحيب نقدي واضح وتم تناولها وفق أكثر من مقال واعتبرها البعض أشبه بشريط سينمائي تتعدد اللقطات فيه لكن الكاميرا واحدة هي عين حكاء متبصر اسمه محمود عبد الوهاب يتقن طريقة التوليف التي برع فيها نتيجة مراجعاته ودراساته السينمائية.

في رائحة الشتاء استطاع محمود عبد الوهاب أن ينفذ إلى مواقع عليا في فضاء القصة العربية ، حيث ظل قاصاً بارزاً دفعت النقد العراقي الى ان يبرز اسمه بامتياز ليس في قلة ما نشر خلال ما يقرب من نصف قرن من الكتابة والعطاء الفني المتميز، ولا في تأنيه في كتابة قصته أناةً يستدعيها الفن الرفيع، ولا هو في تفرد موضوعاته التي لم يختلط فيها مع غيره من القصاصين، ولا خالط سواه في رؤيته لها، أو في رؤية الحياة والإنسان من خلالها، بل هو فضلاً عن هذا كله، في هذه الروح المتجددة والمتواصلة مع عصرها، الملتقطة لهواجس زمنها والمعبرة عن هذا كله، في قصة لها من المقومات الفنية والموضوعية ما استوقفت به دارسيها ونقادها.

نقرأ قصص محمود عبد الوهاب لنحدق في ذواتنا الممزقة بالغيابات والاسى والذكريات، وتلك الطفولة المضنية ككوكب انفصل عن هذه الارض الصدئة، لندرك اننا نعيش في قلب الحياة

في كل مرة ارى فيها محمود عبد الوهاب وأستمع لكلماته انتبه الى انني أنصت الى ينابيع تتدفق من غابات البصرة، إلى أيام في الطفولة سرها مازال غير مكتشف، الى ايام مضت في غرف هادئة كتيمة، الى صباحات جوار البحر، الى البحر ذاته.

قال فوكنر عن همنغواي" من الصعب ان يلجأ الى القاموس في كل كلمه يكتبها، انه يكتب كما يأكل"

ومحمودعبد الوهاب يكتب كما يعيش في طرقات المدن، في حدائقها، في مقاهيها، أشبه بطائر يغني كلمات ترتبط بنبض الارض وضمير الناس.

×××

ظل محمود عبد الوهاب طوال رحلته الثقافية يمثل طرازا من الكتاب الذين وهبوا حياتهم للقراءة والتأمل مؤمنا بأن لا شيء في الحياة أعلى قيمة من الكلمة وقد لخص هو بنفسه افكاره في كلمات موجزة "التصالح التام مع الواقع يعني إلغاءً للعقل النقدي، فليس الواقع دائماً هو المثال المكتمل أو النموذج في عقل المبدع أو المثقف، غالباً ما يأتي الواقع فجّاً، لولا الأحلام والفنون التي تعمل على بناء واقع آخر مفترض. عقل المبدع مسكون دائماً بمثال يوتوبي، التناقض قائم بين واقعين، الواقع الوقائعي، والواقع الحلمي لدى المبدع. ، أنّ معظم ما أكتبه من قصص قد لا يحمل مصالحة تامة مع الواقع، هذا صحيح، لكن معظم ما أكتبه على علاقة مغايرة للواقع، تقوم على التعرف على الواقع أولاً وعلى فهمه ثانياً، ثم كتابة نص تخييلي جمالي، يحمل أنساق الواقع لكنه لا يماثله. أما عن دور ثقافة الآخر في منجز الكاتب، فلابدّ من أن تلعب الثقافة الأجنبية دوراً في تطوير منجز الكاتب، بعيداً عن الاستنساخ الذي يخيط نصاً على غرار نص مستورد.

سحر الكتابة هو الوصف الذي يمكن ان نطلقه على تجربة الراحل والذي يكشف لنا مدى قدرته على إيصال الفكرة بأسلوب مشوق قادر على إيجاد القابلية عند القارئ لتقبل آرائه وأفكاره دون عناء، مقدما لنا نموذجا للقاص والكاتب المتميز،في منجز باللغة المحكمة البعيدة عن الاسراف، مستندا الى ادواته في الدهشة والبساطة. حيث سكنت نصوصه في هم الناس، لذلك أجاد في خلق مرويات تراقب ما يجري وتمسك، بجدارة، بؤر الاحداث. وطيلة حياته التي تجاوزت الثمانين كان عبد الوهاب مشغولا بالسؤال الانساني، يلاحق، مجتهدا، مصادر الحياة في مجتمعاتنا، ولهذا تراه في اغلب نصوصه يحاول حمايتها والبحث عن مناخات ايجابية لنموها.

قال الروائي كازنتزاكي لزوجته في أيامه الأخيرة وعيناه الفاحمتان المدورتان غارقتان في الظلمة ومليئتان بالدموع: "أحسّ كأنني سأفعل ما تحدّث عنه برجسون: الذهاب الى ناصية الشارع ومدّ يدي للتسول من العابرين: زكاة يا إخوان، ربعَ ساعة من كل منكم.. ما يكفي فقط لإنهاء عملي وبعدها فليأتِ شيرون، ناقل أرواح الموتى".

حينما سأل صحافي ألماني همنغواي: "يا هرّ هيمنغواي، هل تستطيع أن تلخّص شعورك تجاه الموت؟ أجاب همنغواي: "أجل إنّه عاهرة أخرى ليس غير"

فيالها من لحظة عاهرة تلك التي خطفتك منا ياصائغ ثريا الكلمات.

محمود عبد الوهاب.. مات وحيداً كما تنبّأت العرّافة

محمود النمر

عن عمر يناهز ٨٢ عاماً رحل امس عن عالمنا القاص العراقي الكبير محمد عبد الوهاب بعد فترة من المرض قضاها في أحد مستشفيات البصرة مؤخراً.

ويعد محمود عبد الوهاب من أهم القصاصين العراقيين والعرب الذين ظهروا منذ نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، متميزاً بأسلوب خاصا وتفردا في السرد، وكان ضمن مجموعة أسست للأدب العراقي الحديث

ولد محمود عبد الوهاب في بغداد ١٩٢٩، أكمل دراسته فيها، مارس الكتابة في مجال القصة والرواية والنقد، قرابة ستين عاما، وترأس اتحاد أدباء البصرة لفترات له عدد من الإصدارات منها (رائحة الشتاء، رغوة السحاب، و ثريا النص، وسيرة بحجم الكف)، تخرج مطلع الخمسينيات في جامعة بغداد، ونال أعلى درجة في دفعته بكلية الآداب، وعين مديرا لإحدى المدارس في مدينة البصرة.

كانت حقبة الستينيات، من أحلك السنوات التي جابهها، حيث فصل من وظيفته، وتعرض إلى السجن، إذ اضطر إلى العمل كقاطع تذاكر، ثم مديرا لسينما الكرنك في البصرة. وسافر إلى جامعة عين شمس لدراسة الدكتوراه لكنه لم يكمل الدراسة بسبب الحالة الاقتصادية .

قال عنه محمد خضير: لا اعجب ان يتعكز القاص محمود عبد الوهاب على عصا لا عن تقدم في السن وانما عن ثقل في الافكار ، فرأسه مملوء بالافكار

وتحدث الشاعر "حسب الشيخ جعفر" عن الراحل حيث قال:- إن إحساسي لهذا النبأ المؤلم هو كإحساس اي امرئ يفاجأ بانطفاء ضوء الشمس فجأة وحلول الظلام لقد كان كاتبا لامعا وصديقا رائعا مع انني لم التق به الا مرارا معدودة فقد ترك لدي انطباعا بعظمة موهبته وصداقته ووفائه وكان هذا هو احساسي اعني عمق صداقته وموهبته بعد كل لقاء لي معه، رحمه الله رحمة واسعة وسأبقى حاملا له اعظم المودة والشركة لتلك الساعات الطيبة التي امضيتها في قراءة نتاجه العظيم او في صحبته الوفية.

الشاعر ألفريد سمعان الامين العام لاتحاد الادباء والكتاب العراقيين:

إن محمود عبد الوهاب من اوائل القصصاين الذين تركوا بصماتهم على القصة العراقية اضافة الى كونه انسانا نبيلا وشهما واكد لنفسه شخصية ابداعية وانسانا يتعايش ويتجاوب مع احبائه واصدقائه لذلك خسرت القصة العراقية نجما متألقا ومبدعا تعتز به الثقافة العراقية.

وتحسرت الناقدة الدكتورة نادية العزاوي على رحيل هذا النجم المبدع قائلة لا شك بأن رحيل محمود عبد الوهاب الانسان الانسان والمبدع المبدع في هذا التوقيت الحرج خسارة كبيرة للعراق وهؤلاء الأعلام تشكلوا انسانيا وثقافيا عبر مخاض طويل وعبر كفاح طويل يحملون قيما وطنية عالية تجسدت في مقاومتهم بكل الموت والحروب والخسارات من اجل كلمة نظيفة بيضاء وقد احتضنوا الوطن بأصرار عجيب في أحلى احلك اللحظات والظروف لم يساوموا عليه ولم يساوموا على ابداعهم.

فجيعتنا بمحمود عبد الوهاب وامثاله فجيعة كبيرة وخسارة لا تعوض على ان الامل باق في ابناء الشرفاء الطبيين

وقال الروائي احمد خلف: ربما يشكل رحيل رائد من روادِ القصة الحديثة بحساسيتها التي تركت آثاراً فنية على مسار السرديات العراقية التي عمل الراحل محمود عبد الوهاب خلال انشغاله الجاد والمخلص لثقافتنا الوطنية اعتقد ان هذه الآثار التي تركها في مدوناته لن يستطع الزمن بكل ما يأتي به من خطوب ومآسٍ علينا كمصابه هذا لن تمحى هذه الآثار اظن انها ستثبت اسم محمود عبد الوهاب مع الخالدين الكبار والى الابد.

وعبر الناقد ياسين النصير بأسف وألم مستذكرا الأثار:- كما توقع محمود عبد الوهاب في احدى قصصه من رائحة الشتاء بأنه سيموت وحيدا كما تنبأت العرافة الغجرية وهو بذلك يصطف مع السياب والبريكان ومهدي عيسى الصقر في حياتهم ومماتهم فقد كانت تلك الغجرية تلحض تاريخ البصرة الثقافي ورموزه عندما قرأت أكفهم اليوم.

اليوم وانا في السليمانية وقد علمت خبر وفاته واعلنته في المؤتمر فكان وقع الخبر شديدا بحيث اصبح الادباء يعزونني بوفاته وقد تذكر الكثير من الادباء فن وانجاز محمود عبد الوهاب، وبهذه المناسبة نأسف جدا لموقف وزارة الصحة التي وعدت برعايته وحنثت بوعدها مع الاسف، اننا في بلد لا يهتم بالمثقفين الكبار بل يهتم بالمقاولين الصغار "إنا لله وإنا اليه راجعون"، مرتين مرة على محمود ومرة على هذه الدولة البائسة وأعزي كل أدباء العراق وليس بفقدان محمود بل في ما أتوقعه لهم من هذه الدولة من إهمال.

وقالت الروائية لطفية الدليمي عن رحيل عبد الوهاب: "في ذمة خلوده وبقائه المؤبد بيننا انحني احتراما واجلالا لروحه الحية التي ستبقى بيننا مادام حرفه يتوهج في قلوبنا استاذنا الاخ الكبير رقيق الحضور وسيد المرح والكلمات الراقية – الف سلام لروحه وكلماته.

وقال الشاعر بعد الزهرة زكي عنه: "عاش بين زملائه من الأدباء البصريين فكانوا أكثر من أهل له، وبين أهله من أدباء البصرة مات.. رحلَ محمود عبد الوهاب بعد حياة كان فيها رمزاً من رموز مدينته التي أحبَّ..إنه أحد مواطنيها الأبديين، وهذه ميزة من ميزات البصرة ومن ميزات ولاء بنيها لها...أحزن الآن على فقدان رجل نبيل مثل محمود وأحيا مشاعر أسرته البصرية، ادبائها ومثقفيها.. العزاء لهم والرحمة له والذكر الخالد لما خلف من أدب ومن سيرة حياة نعتز بها جميعا."

وكتب الشاعر أحمد عبد الحسين قبل مدة ؛ينما كان عبد الوهاب طريح الفراش: "كاتبِ المدينة اليوم طريح فراشه، محبّ الحياة، المعلّم الذي لا تملك إلا أن تستقي منه دروساً حتى وهو صامت، مريض اليوم كمدينته، حين رأيته آخر مرة في سفينة بشط العرب كان في أوج يأسه، كتبتُ وقتها عن حقّ من حقوق الإنسان أغفلته الشرائع، هو حقّ الإنسان في اليأس، لم أطيّب خاطره بكلام رميم عن التفاؤل، ولم أنصحه بحبّ الحياة فهو أستاذ في هذا العلم، تركته ليأسه الكريم كحجر كريم دون أن أخدشه بحجارة مواعظي الرخيصة، لكننا هذه المرة مدعوون لأن نتعلّق بأذياله، أن نطلب منه البقاء معنا، أن نستبقيه ولو بالقوّة، فمدننا ستكون أكثر رثاثة مما هي عليه إنْ غاب هو عنها، والبصرة ستغدو أكثر يتماً مما هي عليه الآن إذا رحل كاتبها ومعمّرها في ظل غياب البنائين".

الراحل في ايامه الاخيرة على سرير المرض

لا أظنه راحلاً هذا الضاحك العجيب

علي حسن الفواز

يرحل القاص محمود عبد الوهاب عن عالم كان يصنع الكثير من حكاياه، يرحل دونما اسئلة، دونما وصايا، يترك الكثير من الحب والاثر العالق بالنفوس، إذ كان محمود عبد الوهاب شاهدا على زمن ثقافي وزمن سياسي، وعلى زمن مديني استكنه فيه الكثير من المسكوت عنه، حتى صار هذا الزمن يخصه وحده، لانه بطله الاخلاقي، ولأنه مدون يومياته وحرائقه..

رحيل محمود عبد الوهاب فاجعة بحجم الحب الذي يحمله البصريون للحكواتي الكبير، وللقارىء المدهش الذي يعرفه كل اصحاب المكتبات وبائعو الصحف وحتى عطارو المدينة، لأنه اكثر الكائنات اليومية حضورا في المدينة ومقاهيها، وربما تجد حضوره بهياً في لياليها الثقافية الساخنة، اذ تتكثف بين يديه السنوات وكأنه (الفتى) المائي، والعاشق الذي يرتعش كلما مسّته رائحة الانثى، مثلما تجده نابها مجددا لادواته، قارئا من نوع غريب يتمثل لمقولته التي يكررها دائما(مباهج القراءة تجعل من القارىء شخصا مختلفا، فالقراءة عامل تغيير، والكتاب مثل النهر لاندخل فيه مرتين)، لذا لا أظن إن أحداً سيصدق رحيله او موته او هروبه من طقوسه اليومية التي مازالت رائحتها عالقة على (تخوت المقاهي البصرية) ولعل من اكثر الذين لا يصدقون (هذا الافتراض) محمد خضير الصديق النبيل، الذي يجد نفسه الكبيرة امام محمود عبد الوهاب مأخوذا بمهابة المعلم القديم والانيق، والذي يشبه كثيراً الممثل الشهير روبرت ميتشم بتسريحة شعره، وبشقرته المتوهجة. وكيف يجد كاظم الحجاج نفسه امام هذا الموت الغرائبي، الموت الذي يأخذ المعلمين والحكواتيين؟ وكيف سيصنع الاصدقاء البصريون مراثي لهذا الراحل الغريب والوحيد؟

لست هنا للرثاء او للوقوف عند اثر الرجل الوحيد والمثير دائما، لانه كان اثرا لوحده، ولأنه كان اكثر كائنات المدينة البصرية اصطناعا للأثر، حتى انه لم ينبه لكتاباته القليلة التي قد لاتشفع لاي كاتب عابر، لكنه لم يستسغ لعبة العبور، ولم يطمئن للخروج عن الامكنة التي علق بها، حتى بدا وكأن حضوره اليومي في تفاصيل هذه الامكنة، واستغراقه في عوالمها نوع من التدوين، نوع من الشهادة على الوجود، وعلى الكشف.

هذا هو اثر محمود عبد الوهاب في أيامنا المحشوة بالكثير من المحو، هو يدون وجوده/ وجودنا عبر فاعلية حضوره، وعبر انشداده الى الحياة التي كان يعشقها وحيدا، لكنها خذلته اخيرا، العشق يكره الخذلان، والعاشق لايجد نفسه إلاّ فارسا فحلا، دونكيشوتياً، له حرائقه الدائمه وضحكاته الضاجة، وله عوالمه التي كثيرا مايدون بها اللحظات التي يتركها الآخرون، او ربما هي اللحظات السائلة التي سراعان ماتكبر لتكون نوعا من الفضيان الجميل الذي يضج بغرق معرفي.

الكشف عن زمن محمود عبد الوهاب هو الكشف عن زمن مدينة، لأن كليهما عاشا القلق واللذة والحرب والغرق وحكايات الراحلين والصيادين، مثلما عاشا لحظات التوهج بكل ماتحمله من حرمان وشغف وانتظار، ولعل استغراقات عبد الوهاب بالجمال هي التي قادته الى صناعة المتعة البصرية، فهو يعشق هذه المتعة، في القصة كتب (رائحة الشتاء) وهي نصوص فيها الكثير من التلذذ البصري، وحتى عنونتها هي لوحة يتراكب فيها الحسيّ مع البصري، مثلما استغرقه المسرح في الخمسينات، لأن المسرح يمثل فحولة ثقافية، فأخرج مسرحيات أهل الكهف لتوفيق الحكيم، ومسرحية عرس الدم للوركا،

ومسرحية سوء تفاهم لكامو، كما انه المترجم (الذواق) الذي يختار نصا للذته، لاستنماء روحه التي ظلت عاطلة عن الشيخوخة، واظنها خرجت لتجلس في احد المقاهي المجاورة لمستشفى البصرة العام، تنتظر خروجه محمولاً مع الأصدقاء الذين يعرفون ان روحه تنتظرهم في المقهى..

انا لم اصدق موته بعد، ولم اعرف سوى أن اكتب إليه، على يقين بأنه سيقرأ، وهو كما أعرفه قارئ نهم لكل الأشياء الصغيرة والكبيرة، حتى اخبرته مرة بأن عادة القراءة هي عادة تلذذ مع انثى تنتظر دائما، اجابني باحدى نكاته السريعة والتي تجعلني أشك الليلة بأن هذا الضاحك العجيب سيرحل يوماً بعيداً عن البصرة والمقهى والشوارع والكلام والضحك.